الرسالة (١٣)

خبر كان

المناسبة: *في إحدى حصص الانتظار، لاحظت المعلمة أن أيادي الطالبات تتناقل خفية مجلة تتصدر غلافها صورة لفتاة، رفعت رأسها وقالت ممازحة: متى يأتي دوري؟ أمسكت بالمجلة، تأملت الصورة مليًا، وبهدوء قلبت صفحاتها وقرأت شيئًا مما جاء فيها، ثم أعادت غلق المجلة وأعادت التأمل في صورة فتاة الغلاف، هزت رأسها وهي تعلق: مسكينة! كم أشفق عليها، فهي لم تحمي جمالها ولم تحافظ عليه..*

سألت طالبة: كيف لم تحافظ على جمالها، وهي ملكة الجمال؟

- نعم، هي - كما يزعمون - ملكة جمال، لا أنكر ذلك، ولا يخفى على أحد، ولكني قلت إنها لم تحافظ على جمالها اليوم ليدوم لها إلى الغد..

علقت طالبة أخرى: فوزها في مسابقة الجمال لاشك قد درَّ عليها أرباحًا طائلة تستطيع معه مراجعة أكبر عيادات الجمال لمعالجة بشرتها أو لتأخير زمن شيخوختها..

أجابت المعلمة: أتفق معك في ذلك، ولكن سنن الله في الخلق قاهرة، لا تتغير.. نعم، ذكاء البشر قد يؤخرها إلى حدٍ ولكن لا يمنع حدوثها!!.

فالشمس الحارقة ستترك أثرها في خطوط متوازية تعلو جبهتها وزوايا عينيها.. ومساحيق التجميل وإن كان منها الطبي أو المطور، لابد وأن يخلف بقعًا وتصبغات تعلو بشرتها.. والريح والهواء قد يسارع بإضعاف شعرها والأصباغ والتسريحات المختلفة قد تقصر من عمره!! أما جسدها شبه العاري فقد أحرقته (فلاشات الكاميرات) وعيون الناظرين الحارة.. وقوامها الرشيق سيعلوه الذبول ويذهب برونقه كثرة التنقل والسفر والرحلات وطول السهر..

يظن البعض أنها أغلى امرأة في العالم ولكنها في الحقيقة أرخص امرأة، فهي عبر الصور في متناول يد الجميع، نجدها على أرفف المكتبات ونجدها أيضًا على طاولة الحلاق ونراها بين أكوام النفايا، **فأي رخص أعظم من هذا؟**

ثم وإن كان يبدو أنها تتمتع **بحريتها الكاملة**.. إلا أن للحقيقة وجهاً آخر، فهي تعاني من ذل الرق وأسر العبودية، حتى في أدق تفاصيل حياتها، فهي مثلاً لا تستطيع أن تأكل ما تشاء لأنها تسير تبعًا لبرنامج غذائي مرسوم، ترقبها الأنظار في حركاتها ونظراتها، وينبغي عليها الحذر الشديد في مكالماتها الهاتفية وعلاقاتها الشخصية وإلا طارت فضائحها عبر الآفاق!! لا تمشي خطوة إلا وبصحبتها من يحرسها خوفًا من مجرم أو معتوه!! وإذا ما تحركت دوافع الفطرة فيها وهمت بالإنجاب فهذا موضوع مؤجل إلى حين انتهاء عقدها مع الشركة الإعلانية والذي قد يمتد لـ خمس سنوات قادمة.. **فأي رق أشد من هذا؟**..

وقد يغتر البعض بالصور التي يظهرن فيها، فهن يرتدين أفخم الملابس، وتنتقل بين فنادق أرقى العواصم، تعقد المؤتمرات الصحفية

وتفتتح الحفلات الخيرية، ولكن تأملي جيداً في صورتها تلك بالداخل فهي باهتة البسمة تائهة الخطوة!!

توزع ابتسامة مدروسة بعناية وتخفي وراءها تعاسة ووحشة لا نظير لهما.. **لقد ضلت طريق السعادة** كما ضاع قبلها كثيرات..

- فمنهن من توهمت السعادة في جمال الصورة ولو صح ظنها لما أقدمت أجمل جميلات هوليود - كما يسمونها - (مارلين مونرو) على الانتحار!!
- ومنهن من تحسد المشاهير من النساء ولو كانت الشهرة تجلب السعادة لما خاطرت أشهر امرأة في القرن العشرين (الأميرة ديانا) وتجاوزت الخطوط الحمراء المضروبة حولها بحثًا عن السعادة لتلقى النهاية المأساوية التي نعرفها كلنا.
- ومن النساء من تظن السعادة في جمع الأموال، ولو كان ظنها في محله لما عبَّرت أغنى امرأة في العالم (كريستينا أوناسيس) عن تعاستها في أكثر من مناسبة لتنتهي حياتها جثة هامدة وحيدة في أحد شاليهاتها الخاصة ﴿**فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ**﴾ [سورة القصص؛ ١٧٨].

كم أرثي لحال هذا الصنف من النساء لم يرحمن أنفسهن ولم يعطف عليهن الرجال من حولهن، صفقوا لهن مهللين ومشجعين

ويزداد التصفيق حماسًا كلما ازدادت جرأة النساء على خلع الحياء فصلاً وراء فصل لترضي بذلك سيدها الرجل ولكن هيهات له أن يرضى لينتهي آخر فصل من الفصول بسقوط المرأة طريدة وحيدة قد لفظها آخر رجل في خاتمة لأشهر مسرحية عرفها العصر بعنوان (الفخ)!!

وكم أمقت جهلهن وشدة فتنتهن، فلو أن المرأة عرفت أن خالقها أرحم بها من رحمتها لنفسها فاستجابت للأمر الإلهي ﴿ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ**﴾ [سورة النور: ٣١]..

فأسدلت الخمار على محاسنها
لتُعرف بالعفة فلا يطمع فيها مريض القلب
ولتحمي رونقها فلا تتخطفه الأبصار
ولتبقي نضارتها فلا تفسد كفساد ثمار الفاكهة عقب تقشيرها

ولو أن المرأة عرفت قيمتها وثمنت نفسها لما رضيت أن تحط من قدرها فتتصدر غلاف مجلة أو أن تكون مذيعة برنامج متفسخة أو مغنية تُطرب الفساق..

ولو أن المرأة عرفت حقوقها وواجباتها لما رضيت بتبادل الأدوار مع الرجل لتشاركه في مهامه دون أن يشاطرها وظيفتها الفطرية ليكون مصيرها الفشل في كل الجبهات وتبقى وحدها تتجرع غصات الألم وتعض أصابع الندم!!

ولو أن المرأة أدركت نعم الله عليها وعلى رأسها نعمة الستر البدني والهدوء النفسي للزمت بيتها ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣] ، ولما سعت خلف كل ناعق..

رفعت المعلمة المجلة وأشارت إلى صورة الغلاف وقالت: من ستعش منكن عشر سنوات قادمة فلتذكر حديثي هذا..

في خلال هذه السنوات قد تحصلين على الشهادة الجامعية، وقد تجدين مهنة مناسبة تخدمين بها وطنك وقد تتزوجين برجل كريم تعيشين في كنفه حياة هانئة، وقد تُرزق الأمة على يدك بأبناء صالحين، أما فتاة الغلاف تلك فلا جديد في حياتها فهي كمن يدور حول نفسه وجميع الأوصاف والألقاب التي تتمتع بها اليوم ستكون في محل نصب خبر كان غداً..

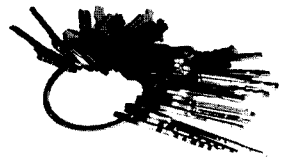

الرسالة (١٤)
مفاتيح النجاح

اعتادت المعلمة مع بدء كل عام دراسي جديد أن تبادر بسؤال طالبات الصف الثالث الثانوي عن أهدافهن وطموحاتهن المستقبلية، لتأتي الإجابات متنوعة تعكس اختلاف نفسياتهن وتباين تفكيرهن.. ولكن المؤلم حقًا أن تسمع إجابات تنم عن وجهات نظر سوداوية وروح تشاؤمية مثل (ما حنفلح) أو (مستحيل نجيب نسبة عالية) أو (ما في كلية حتقبلنا)..

تساءلت المعلمة: لماذا هذه النظرة التشاؤمية..

أجابت طالبة: بل هي النظرة الواقعية..

قالت المعلمة: ولكننا ما زلنا في بداية العام والفرص مازالت مواتية أمامك لتغيير أسلوبك في الدراسة وبداية عهد جديد من الجد والمثابرة..

أجابت طالبة أخرى بلهجة محبطة: الدروس صعبة، ومهما اجتهدنا فإن حظنا في الامتحانات متعثر دائماً..

قالت المعلمة: الدروس صعبة! أفلا ترين أنه حكم سابق لأوانه؟ أما قولك: حظك متعثر في الاختبارات فلا أنكر أن الحظ له دور في الامتحانات ولكن ليس على كل حال، فلكل مجتهد نصيب، ومن جد وجد.. أمسكت المعلمة بالقلم السبوري وقالت: على كلٍ سأوضح لكِ

بالرسم حلقات متصلة ستقودك حتمًا ليس إلى غدٍ مشرق ومجدٍ قادم وإنما ستوصلك إلى ليلٍ مظلم بهيم!!..

فتحت الطالبات أفواههن دهشة واستغرابًا..

قالت المعلمة - وهي تغالب ضحكتها -: نعم، أوليس حذيفة رضي الله عنه يقول: «**كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه!!**» حى أصبح حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرجعًا لصحابة رسول الله ﷺ في أحاديث الفتن..

أمسكت المعلمة القلم وشرعت في الرسم وهي تعلق..

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز. وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، فإنّ لو تفتح عمل الشيطان**» رواه مسلم.

نص نبوي يحوي إعلانًا لبدء الانطلاق في ميدان سباق الأقوياء.. وهذا الحديث شهادة حق للقوة الإيمانية وهي الطاقة المحركة التي تنفي عن صاحبها صفات النقص كالخمول والكسل ومن ثم الإخفاق والفشل وما يتبع ذلك من احتقار الذات وفقدان الثقة بالنفس وقد أكد رسول الله ﷺ هذا المعنى في قوله: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز**» فالطالبة المؤمنة تحدد هدفها ثم تجتهد في تحصيله سواء

كان هدفها دنيويًا أو أخرويًا من غير أن يتسلل إليها داء الاغترار بقوة البدن أو ذكاء العقل فتتوهم أنها بمقدورها النجاح دون الاستعانة بالملك القدير في كل أمورها ولو على الشيء اليسير منها، وتقرن الاستعانة القلبية بالدعاء المأثور الذي علمنا خير مربٍّ ﷺ وهو أحد أهم مفاتيح النجاح، ففي الصحيحين عن عمرو بن أبي عمرو أن النبي ﷺ كان يقول:

«**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل، وضلع الدين وقهر الرجال**» ولكن ما تعريف الكسل؟ قال النووي: هو عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة مع إمكانه..

وما المقصود بـ (**العجز**) الذي جاء في الدعاء؟.. عدم القدرة، وقيل: هو ترك ما يجب فعله والتسويف به..

« **ولا تعجز**» يعني استمري في العمل ولا تتركيه، كأن تتحمسي في بداية العام الدراسي ثم لا تلبثي أن تقفي وتدعي المذاكرة.. والانتهاء عن العجز أحد أسباب كسب الثقة بالنفس

«**وإن أصابك شيء فلا تقل لو..**» أي إذا التزمت بالأوصاف السابقة ثم جاءت النتيجة مخيبة للآمال فلا تحزني ولا تندمي، لأن هذا أمر فوق إرادتك ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ**﴾. [سورة يوسف: ٢١] وهذا موقف يجعلك تتمتعين بالرضا والتفاؤل..

«**ولكن قل، قدَّر الله**» لا أحد يمنعه في ملكه ﴿**إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**﴾ [سورة هود: ١٠٧]. وبهذا توصدي دون الشيطان بابًا للأحزان والإحباطات، لتستأنفي المحاولة من جديد بروح وثابة وهمة عالية..

وقبل أن أختم حديثي أوجه لكن سؤالاً لأتأكد من استيعابكن لما أوجزته..

ما المفاتيح الخمس للنجاح؟

وأخيرًا رددي معي هذه الأبيات:

قلتُ: الحياةُ هي التحرك ... لا السكون ولا الهمود

وهي التفاعلُ والتطور ... لا التحجر و الجمود

و هي الشعور بالانتصار ... ولا انتصار بلا جهود

و هي التلذذ بالمتاعب ... لا التلذذ بالرقود

هي أن تعيش خليفة ... في الأرض شأنك أن تسود

هذي الحياة وشأنها ... من عهد آدم والجدود

فإذا ركنت إلى السكون ... فلذ بسكان اللحود

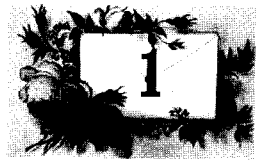

الرسالة (١٥)

الرقم (١)

قد نجد طالبة متفوقة دراسيًا، وأخلاقيًا، وقد نجد طالبة تجمع مع هاتين الصفتين سمتًا علميًا متميزًا..

ولكن من النادر أن نجد طالبة كانت..

الرقم (١) في ترتيبها الدراسي..

والرقم (١) في نهجها الأخلاقي..

والرقم (١) في حسن سمتها وهيئتها..

والرقم (١) في علاقاتها الإنسانية..

ثم هي لا تدع مسابقة علمية أو دينية إلا وتحرز لنفسها بل لمدرستها المركز الأول

وكانت لا تدع فرصة للمشاركة بالأنشطة اللاصفية والإذاعية إلا ونجد لها يدًا فيها إلقاء أو إعدادًا أو إنشادًا..

يطبق عليها قول الشاعر..

والناس ألفٌ منهم كواحد ... وواحدٌ كالألف إن أمرٌ عني

وخيرٌ من هذا ما جاء في الحديث المتفق عليه: «**إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة**» وهذا يدل على اختلاف أصناف الناس كاختلاف أنواع الإبل فهناك الإبل السائبة وهناك الإبل النافعة..

وكانت (بيان) من هذه الفئة القليلة فئة الرواحل!!

ولا أظن أن الذكاء وحده وراء تفوقها على أقرانها..

ولا أظنه الاجتهاد فحسب مع أهميته إلا أن هناك مولدات مجموعة..

$$\text{الرمز رقم (١)} = \frac{\text{ثقة بالنفس + وضوح الهدف + قدرة بدنية + صحة نفسية + عزيمة ثابتة}}{\text{طاقة إيمانية محركة}}$$

فهل تعي الفتيات وأسرهن هذه المعادلة؟

وهل لديك عزيزتي القارئة تعليق مناسب؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

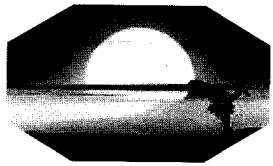

الرسالة (١٦)

شمس فاق الأنجم

مع بدء كل عام دراسي جديد، قد تسأل بعض المعلمات طالبات الفصل عن إجازاتهن وكيف أمضينها، وتأتي إجابات (أشكالاً وألواناً!) فمنهن من لم تبرح البيت، ومنهن من قضتها في بعض ربوع وطننا الغالي، ومنهن من تفاخر في كونها عادت للتو من سياحة في خارج أرض الوطن، ومع هذة الفئة جرى حوارنا التالي:

سألت المعلمة: حدثيني عن أشياء افتقدتها وأنت بعيدة عن وطنكِ؟

وكانت الإجابات جميلة وصادقة..

- كثرة المساجد، "منظر العباءة"، كرم الشعب وطيبته وصدقه في التعامل مع المواطن والمقيم، واحترامه للمرأة بعدم مزاحمتها في الأماكن العامة، أو عرض صورها على الجدران أو اللوحات الإعلانية، الأمان، توفر معظم السلع الاستهلاكية كالأغذية والأدوية والملبوسات و... إلخ، هدوء الشوارع، خفة الازدحام..

ومن أجمل الإجابات: تعظيم شعيرة الله بإغلاق المحلات التجارية وقت الأذان..

قالت المعلمة: بعضٌ منا قد لا يحس بقيمة الوطن إلا إذا قدر له العيش خارج حدوده وبعض منا لا يدرك عمق محبته لوطنه إلا إذا هوجم وطنه..

وإن كان حب الوطن أصلاً يشترك فيه أغلب الناس مع تفاوتهم في مراتبه..

بلادي وإن جارت علي عزيزةٌ وأهلي وإن ضنوا علي كرام

إلا أن المتعصب لوطننا الغالي قد يعذر في مسلكه.. إذا عُرف لماذا نحن نحبه؟

فحسبنا أن وطننا شامة بين الأمم وشمس بين الأنجم..

- ففي حين جميع الدول اتخذت مناهج دنيوية ارتضتها في تسيير شئونها والتحاكم إليها فإن وطننا لم يرضَ إلا بمنهج رب البشر فتميز بصلاح تشريعه وسعادة أفراده..
- وفي حين جميع الدول تبذل جهودًا وتنفق أموالاً بغية جذب السياح إليها فتدشن المتاحف وتبني أفخم الفنادق وتشجع دور السينما والمسرح وتقيم المهرجانات التسويقية وتسمح بما لا يصلح.. إلا أن وطننا يحوي مهوى الأفئدة وأطهر البقاع، يفد إليها الصفوة من العباد ليقيموا فيها شعائر الإسلام ويعظموا فيها مناسكه، فكانت الجهود الضخمة والأموال الطائلة التي صرفت في تيسير سبلهم وتذليل تنقلاتهم قربة وطاعة ومروءة وشهامة..
- في حين بعض الدول - باسم حرية الفكر - مزقته الفرق المبتدعة، وفرقت شمله المذاهب الجاهلية، إلا أن وطننا تميز بوحدة صفه وقوة لحُمته فلا صوت يعلو صوت الشرع ولا طاعة إلا لمن أطاعه..
- وفي حين بعض الدول لا يَسأل فيها الغني عن الفقير ويطحن فيها القوي الضعيف، قوانينهم لا تفرض عليهم دفع الزكاة

ويتحايلون للهرب من الضرائب المفروضة عليهم، إلا أن بني وطني يعرفون بتسابقهم لنجدة الملهوف وإعانة الفقير والمسكين، فدور الرعاية الاجتماعية والجمعيات الخيرية ممتدة في عطائها بعرض البلاد وطولها..

- وفي حين نسمع عن بطش الجبابرة وظلم الأنظمة الحاكمة إلا أننا في وطننا لم نسمع إلا بكرم الحاكم وسخائه، فأبوابه مشرعة لنصرة المظلوم ورد الحقوق لأصحابها..

فلم نسمع عن أذان حجب صوته..

أو امرأة مُزق حجابها..

أو مصل في المسجد تعقب لتطرفه..

أو داعية للحق على حبل المشنقة عُلق..

فالمساجد عامرة، ودور تحفيظ القرآن متزايدة، والعلماء موقرون، ورجال الحسبة بعملهم قائمون..

- وفي حين يشكو الغيورون من المفاسد الناجمة عن الاختلاط بين الجنسين في المدارس والجامعات وسائر المرافق في كثير من الدول، فإن بلادنا تفردت بالتزامها بشرع الله، ففصلت بين الجنسين وأمنت بذلك من فتنة عظيمة وتسنى لنسائنا مزاولة أنشطتهن بحرية وأريحية تامة..

فلك مني يا وطني كل معاني الولاء..

﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سورة سبأ، ١٥]..

الرسالة (١٧)

صف (الثرثارات)

تميزت طالبات أحد الصفوف الدراسية بتفوقها الدراسي إلا أن ذلك كما تراه المعلمات غير كافٍ لأنهن مصدر إزعاج وتوتر لكثرة تعليقاتهن وأحاديثهن الجانبية أثناء الحصة، ولذا وجدت في إحدى حصص الانتظار فرصة مناسبة لمحاورتهن بهذا الشأن، سألتهن في البداية عن الأسباب النفسية التي تحدو بهن للكلام أثناء الدرس..

فكانت الإجابات صادقة وجريئة (من الزهق والطفش) (ازدحام الجدول المدرسي، حصص وراء بعض وزمن الفسحة غير كافٍ) (بعض الحصص ثقيلة وجامدة وطويلة)..

- ولكن هل تجرؤن للالتفات نحو بعضكن للحديث أمام المعلمة؟

- نعم، قد نفعل ذلك عند بعض المعلمات، وهي قد ترانا ولكنها تتجاهلنا إما لطول درسها فلا وقت لديها لإسكاتنا أو لأنها (شافت ما فيه فايدة) أو لأننا (شطار وما تبغى تزعلنا.. أحم!!).

- ولكن لا أظن هذا حال جميع المعلمات؟

- نعم، ولذا نلجأ لأساليب خفية..

قاطعها البعض: (لا تقولين بعدين تعلّم)!!

- لا تخفن، حديثكن (محفوظ) (طبعًا في دفتر الملحوظات).

- ممكن أن نكتب تعليقًا ونخفيه في غطاء القلم مثلاً.

- وماذا تكتبن؟

- نكت "طرائف" أو نعبر عن مشاعرنا أو يصبِّر بعضنا بعضًا.

- وهل تشعرن بعد ذلك براحة وانتعاش.

رددن مبتهجات: نعم

- لا يقول عاقل بوجوب حبس اللسان عن الكلام، فالكلام نعمة إلهية عظيمة، نعبر باللسان عن حاجاتنا النفسية والبدنية وسائر الرغبات.

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

ولا أنكر حاجتكن للتعبير عن انفعالاتكن السلبية كالضيق والنكد والألم.. أو مشاعركن الإيجابية كالفرح والشكر والامتنان..

كما لا يصَدقُ مبتدع إذا قال بالتعبد لله بلزوم الصمت، ولا يقول بإمكانية حبس الألسن وتكميم الأفواه.. إذًا تتفقن معي في حاجتنا إلى ترشيد الكلام وضبط اللسان.. بالنظر في ٣ أمور:

١- ماذا سأقول؟ ٢- متى سأتحدث؟ ٣- كيف أتكلم؟

قال تعالى: ﴿**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً**﴾ [سورة النساء: ١١٤]. وقال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**» حديث صحيح.

وعلى كل إذا كان الحديث الجانبي أثناء الدرس له إيجابيات كما وضحتن لي فهو يخفف عنكن شيئًا من التوتر والضيق إلا أنه له سلبيات كثيرة فمن يمكنها ذكرها؟

- تشتيت فكر بقية الطالبات وإشغالهن عن الدرس.

- تقليل من شأن المعلمة وبالتالي زعزعة الثقة بها وبما تحمل لنا من العلم، ومن ثم قد لا ينتفع من علمها فتخسر الطالبة في النهاية.

- ينم عن سوء أدب وضعف ضمير من الطالبة.

- وعلى كلٍ أنهي لقائي معكن بهذا السؤال: لو كنتِ معلمة ماذا سيكون موقفك من طالبتك غير المنضبطة؟

فكانت الإجابات واحدة..

لن أسمح أبداً بالكلام (ومن تتكلم سأطردها من الصف)!!!

الرسالة (١٨)

التحدي الكبير

(مريم) طالبة مجتهدة، تتوقد حيوية وتشتعل حماسًا، أوتيت همة عالية وعقلاً وقّاداً، كثرة قراءتها وسعة اطلاعها في علوم متفرقة جعلها تمتلك روح شاعر وخيال أديب وحكمة مؤرخ وتأمل مفكر ونظرة ناقد، وكثيرًا ما كانت تمطر دروس معلماتها بفوائد حسان، وبفرائد جمان...

وأكثر ما كان يقلقها هو أن لا تنال ما حلمت به كثيرًا وهو أن تترك أثرًا عظيمًا بعدها أو تقدم خدمة إنسانية جليلة ليدون اسمها في سجل الخالدات..

لم تكن معلمتها ترى في أحاديثها التي تتحدث فيها عن آمالها العريضة وأحلامها الفسيحة مضيعة للوقت، كانت تشعر بعد انتهاء أحاديث طالبتها بمزيج من الإعجاب بقدراتها مع الإشفاق عليها لإيثارها تكلف المشاق مع تعذر الإمكانيات..

لا شك أن حياة (مريم) الأسرية أو المدرسية كانت تعج بالمعوقات، فكثيرًا ما كانت تشكو لمعلمتها المحبطين تارة أو ضعف التعليم وتارة ثالثة عدم حصولها على الفرص المناسبة لإبراز مواهبها وتفجير طاقاتها..

وفي يوم رفعت (مريم) أحد أطرافها.. نجحت معلمتها معها في إخفاء مشاعرها من جرح غائر وعميق حُرمت معه (مريم) من الانتفاع بهذا العضو.. وبلطف سألتها معلمتها.. منذ متى حدث هذا لك؟ فأجابت بهدوء مصطنع وابتسامة متكلفة: منذ طفولتي..

عادت هذه المرة المعلمة إلى مكتبها وهي تحدث نفسها قائلة: إن حوادث الطفولة المؤلمة قد تكون نقطة انطلاق لتحد كبير تجعل المؤشر الإنتاجي للمرء لا يرضى بغير الذروة...

الرسالة (١٩)

ابنة حارس المدرسة

ما أن دلفت المعلمة الفصل حتى تذكرت أنها قد تركت وسائلها التعليمية في الصف المجاور، الأمر الذي حداها - وعلى غير عادتها - إلى إرسال أقرب الطالبات من الباب لإحضارها،

وبينما شرعت المعلمة في ضبط الصف والتهيئة للدرس، انتبهت الطالبات إلى صوت قوي صدر من إحدى الوسائل بعد أن قذفتها الطالبة المُرسَلة نحو السبورة، تغافلت المعلمة، ولكن لم تستطع تجاهل دوي الانفجار الثاني الذي أحدثته الألواح الصغيرة بعد أن ألقتها بشدة نحو طاولة المعلمة!! بهدوء التفتت المعلمة نحو الطالبة وسألتها: (حصة) هل ضايقتك حين أرسلتك لجلب الوسائل من الصف المجاور؟

هزت رأسها مثبتة، وبعصبية واضحة قالت: نعم.

- إذًا لماذا لم تعتذري منذ البداية لأكلف غيرك.. فالصف مليء بالطالبات المتعاونات اللاتي يرين أن خدمة المعلم شرف..

أعرضت الطالبة بصفح وجهها وابتسامة السخرية لم تفارق محياها، كما أنها لم تكف عن هز رجلها بشدة طيلة زمن الحصة، وكعادتها لا تفاعل، لا تجاوب نحو الدرس مكتفية بالحملقة وتدوير عينيها بين زوايا سقف الصف!!

وما إن انتهى زمن الحصة حتى سارعت المعلمة إلى المرشدة الطلابية.. والتي وافتها بالتقرير التالي عن الطالبة المعنية..

("حصة" واحدة من طالبات قليلات أعيت قوانين المدرسة وأنظمتها عن ضبط تسيبها المستمر وتغيبها الدائم وكأنها تستدعى للتكريم حينما يطلب منها توقيع على تعهد خطي أو محضر تحقيق لكثرة مشكلاتها مع طالبات المدرسة كما أن ترفق المرشدة الطلابية بها لم يزدها إلا إمعانًا وعنادًا..

لا تعتذر عن خطئها، ولا تبدي أسفًا لأن الكل عندها كما دائمًا تردد "دون المستوى"!!!

بقي علينا أن نعرف ما المستوى المعيشي والمحضن البيئي الذي تخرجت منه "حصة"؟

إنها ابنة لأبوين مكافحين.. فالأب يعمل حارسًا لإحدى مدارس البنات، وحينما كانت "حصة" في المرحلة الابتدائية كانت زميلاتها يعيرنها بمهنة والدها.. ولربما أن هذا وافق تحسساً نفسياً في حين أنها لم تجد من يعزز لديها في المقابل الشعور باحترام الذات وتقديرها، إذ لم تجد إلا (أبًا) أساء توضيح مفهوم الشخصية القوية لديها..).

خرجت المعلمة من غرفة (المرشدة الطلابية) وهي تحدث نفسها:

إذًا يبدو أن متاعب "حصة" جاءت من أمرين:

١- الإهانات التي كانت تتعرض لها (حصة) في زمن الطفولة.

٢- مفهوم التربية الخاطئ لمعنى القوة.. فالقوة كما تلقتها "حصة" هي التي لا تجيد إلا لغة العنف البدني!! وإن لم تعرف فن الإقناع والحوار.

هي الشخصية التي تستعرض عضلات بدنها وإن ضعفت قدرات عقلها.

هي الشخصية التي يفسح لها الطريق اتقاء شرها، لا من تلتف حولها الجموع رغبة فيما عندها من خير.

عادت المعلمة بذاكرتها إلى سنوات المرحلة الثانوية حينما كانت إحدى زميلاتها تفاخر بمهنة أمها والتي تعمل (عاملة تنظيف) في المدرسة نفسها أو ما كن نسميها (فرَّاشة) فهي لا تتجشم مشقة القدوم إلى المدرسة للسؤال عن ابنتها في مجلس الأمهات بل وكانت تصحب زميلاتها إلى الغرفة الوحيدة التي تجمع جميع أفراد العائلة والكائنة في المدرسة نفسها..

كان حديثها وخطواتها وجميع مواقفها تنم عن تقدير للذات وثقة بالنفس، وإن كانت ابنة "الفرّاشة" قد أحرزت تفوقًا نفسيًا منذ بدايات حياتها فقد ساعدها هذا على تبوء مركز تعليمي واجتماعي مرموق اليوم...

هذه باختصار قصة "حصة" ابنة حارس المدرسة.